العدد 12 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية كانون 2 2026
No. 12 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences January 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

دور الأطباء في صنع القرار السياسي في دولة المماليك الجراكسة البرجية في مصر (١٣٨٢ ــ ١٥١٧م / ٧٨٤هـ ــ ٩٢٣هـ)

ا م.د. احمد خلف فندي السبعاوي
جامعة نينوى / كلية القانون

الملـــخص:

شهد العصر المملوكي الجركسي تحولاً جوهرياً في بنية نظام الحكم ، حين برز الأطباء كقوة (سياسية) ناعمة ؛ وفاعلين سياسيين من خلال تلك الأدوار التي قاموا بها من خلف الستار. بمعنى أن الفترة موضوعة البحث : لم يعد فيها دور الطبيب مقتصرًا على الجانب التطبيبي البحت ب داخل البيمارستانات ، بل تحول دور الطبيب من طرف خفي إلى "حكيم" وسياسي يطّلع على أسرار "الخلوة السلطانية"، يدعمه بذلك : تلك الثقة المطلقة التي منحها إياه السلطان في لحظات ضعفه البشري أو بحالة مرضه . ومن هنا، تبلور دور الطبيب كـ "صانع ملوك" بمركز مستشار وموجّه ؛ يمتلك القدرة على تمرير الشفاعات ، والتأثير في أدق القرارات الداخلية الهامة . وفيما يخص كرسي الحكم ، قام الأطباء بدوراً استراتيجي حساس في هندسة الوراثة السياسية عبر التلاعب بـ "الزمن السياسي" ؛ إذ كانوا يموّهون على الأمراء بشأن الحالة الصحية للسلطان المحتضر لمنحه الوقت الكافي لتأمين ولاية العهد لأبنائه ، كما حدث في عهدي السلطان برقوق ، والمؤيد شيخ. ولوصفهم "موثوقين شرعيين" : فقد كانت تقاريرهم الطبية هي الفيصل في إثبات أهلية السلطان للحكم ، أو شرعنة عزله بذريعة العجز البدني أو إختلاط المزاج ، مما منح "المشرط الطبي" سلطة نافذة تفوق أحياناً سلطة السيف في حسم هوية الجالس على العرش. وامتد هذا النفوذ (مع التقادم) ليشمل إعادة هيكلة النخبة الحاكمة ؛ حين تغلغل الأطباء في الدواوين الإدارية ؛ والوزارة عبر آلية الشفاعة ، والرقابة الصحية على كبار الموظفين. فضلاً عن : فرض سلطتهم وصوتهم على "أرباب السيوف" من القادة العسكريين عبر التحكم في تقارير اللياقة البدنية والخدمة السلطانية ، وهو ما مكّنهم من إزاحة القادة المنافسين ، أو ترقيتهم بناءً على تزكيات وإشارات طبية ومزاجية. وفي خضم الصراعات التي لمسناها في البلاط ، نجح الأطباء في إقصاء المنجّمين ؛ والفقهاء ؛ والخدام المخصيين، معتمدين على استراتيجية الاحتكار المعرفي للجسد السلطاني ، كل ذلك كي يؤمنوا : مكانتهم كقناة اتصال وحيدة وقوية تؤثر في مركز القرار. أما على الصعيد الدولي، فقد تجلى دور الطبيب كـ "سفير فوق العادة" ودبلوماسي استخباراتي. إذ فضّل السلاطين إرسال الأطباء في السفارات الخارجية لما يتمتعون به من "حصانة فنية" تتيح لهم الجلوس مع الملوك الآخرين وجمع معلومات استراتيجية تحت غطاء الطب. وفي الداخل، تولى الأطباء مسؤولية استقبال الوفود الأجنبية وتأمين القلعة عبر فحص الهدايا من السموم وإدارة المفاوضات السرية، مما ساهم في عقلنة السياسة الخارجية المملوكية وبناء صورة حضارية قوية للدولة أمام القوى الصاعدة كالعثمانيين. لقد انتهت الدراسة إلى أن التحالف بين "المبضع والصولجان" كان تحالفاً ضرورياً ومصلحياً؛ حيث وفر الطبيب الحماية البدنية والشرعية للسلطان، بينما حصد الطبيب بالمقابل نفوذاً سياسياً واجتماعياً وضعه في قمة هرم النخبة الحاكمة في مصر والشام.

الكلمات المفتاحية :المماليك الجراكسة، القرار السياسي، النخبة العالمة، تاريخ الطب، الدبلوماسية المملوكية، أطباء السلطان، سلطة الخلوة، ولاية العهد، السفارات الدولية.

The Role of Physicians in Political Decision-Making in the Circassian Mamluk State of Burji in Egypt (1382-1517 CE / 784-923 AH)

Dr. Ahmed Khalaf Fandi Al-Sabawi
University of Nineveh / College of Law

Abstract:

The Circassian Mamluk era witnessed a fundamental shift in the structure of the ruling system, as physicians emerged as a "soft power" and political actors who managed many scenes from behind the scenes. The physician's role was no longer limited to the therapeutic aspect within the Bimaristan; instead, he transformed into a "Hakim" (wise man) privy to the secrets of the "Sultanic Seclusion" (Al-Khalwa Al-Sultaniyya), benefiting from the absolute trust granted by the Sultan during moments of human vulnerability and illness. Consequently, the physician's role evolved into a "kingmaker" with the ability to broker intercessions and influence the most delicate sovereign decisions. Regarding the "industry of the throne," physicians played a strategic role in engineering political succession by manipulating "political time". They would mislead the emirs concerning the health of a dying Sultan to provide him enough time to secure the covenant of succession for his sons, as occurred during the reigns of Sultans Barquq and Al-Mu'ayyad Shaykh. Acting as "legal notaries," their medical reports were the deciding factor in proving the Sultan's eligibility to rule or legitimizing his deposition on the grounds of physical incapacity or "corruption of temperament". This granted the "medical scalpel" an influential authority that sometimes surpassed the power of the sword in determining the identity of the next occupant of the throne.This influence extended to restructuring the ruling elite, as physicians infiltrated administrative departments and the ministry through the mechanism of intercession and health monitoring of senior officials. They also imposed their authority over the "Lords of the Sword" (military leaders) by controlling physical fitness and sultanic service reports, enabling them to displace rival leaders or promote them based on medical and temperamental recommendations. Amid court conflicts, physicians succeeded in marginalizing astrologers, jurists, and eunuchs, relying on a strategy of cognitive monopoly over the Sultanic body to secure their position as a unique and powerful channel of communication with the center of power

On the international level, the physician's role manifested as an "ambassador extraordinary" and an intelligence diplomat. Sultans preferred sending physicians on foreign embassies due to their "technical immunity," which allowed them to sit with other monarchs and gather strategic information under the guise of medicine. Domestically, physicians were responsible for receiving foreign delegations and securing the Citadel by inspecting gifts for poisons and managing secret negotiations. This contributed to the rationalization of Mamluk foreign policy and the building of a strong civilized image of the state before rising powers like the Ottomans. The study concludes that the alliance between the "scalpel and the scepter" was a necessary and utilitarian one; the physician provided physical protection and legitimacy for the Sultan, while the physician, in return, reaped

political and social influence that placed him at the top of the ruling elite hierarchy in Egypt and the Levant.

Keywords: Circassian Mamluks, Political Decision, Learned Elite, History of Medicine, Mamluk Diplomacy, Sultan's Physicians, Authority of Seclusion, Succession to the Throne, International Embassies.

المقدمـــــــة:

يُعَدّ العصر المملوكي الجركسي، الممتد من عام : ٧٨٤هـ/١٣٨٢م حتى ٩٢٣هـ/١٥١٧م، واحد من أكثر مراحل وحلقات التاريخ الإسلامي الوسيط ثراءً وتعقيداً، لما اتسم به من تحولات جوهرية في بنية السلطة السياسية ، وما طرأ عليه من تبدلات عميقة في طبيعة النُخب والبطانات المحيطة بمركز الحكم. إذ شهدت تلك الفترة اضطراباً سياسياً مستمراً ، رافقها تنافساً حاداً بين مراكز القوى المؤثرة بداخل أجهزة الدولة ، وهو ما أفرز منظومة حكم تقوم على التوازنات الدقيقة ، والتحالفات المؤثرة (غير المعلنة). وفي خضم هذه التحولات ، برزت فئات بعينها لعبت أدواراً فعلت فعلها من خلف الكواليس، وأسهمت في توجيه مسار القرار السياسي بعيداً عن الأطر الرسمية التقليدية المتعارف عليها .

وإذا كان التأريخ الكلاسيكي في العصر الوسيط : قد ركّز في الغالب على صراعات الأمراء المماليك ومزاجات العرش السلطاني، فإن الدراسات التاريخية الحديثة باتت تميل إلى تجاوز هذا المنظور الضيق ، نحو فسفة التاريخ وتحليل ما يمكن تسميته بـ :«القوى الناعمة» التي أسهمت في إدارة الدولة من وراء الستار. وفي مقدمة هذه القوى تبرز : (فئة الأطباء) ، الذين مثّلوا حلقة وصل استثنائية بين مجالي العلم العلاجي وبين السلطة ، فجسدوا بذلك نموذجاً فريداً ترك تأثيره من خلال تداخل المعرفة الطبية مع النفوذ السياسي في المجتمع المملوكي.

لقد حظي علم الطب في مصر خلال العصر المملوكي بمكانة مرموقة تجاوزت المفهوم الضيق للممارسة العلاجية؛ إذ لم يكن الطبيب آنذاك مجرد معالج للأمراض، بل كان يجسد الصورة الأكاديمية التي رسمها ابن النديم في كتابه (الفهرست)، حيث صنّف الأطباء ضمن طبقة الفلاسفة والحكماء الذين يجمعون بين العلوم العقلية والنقلية. فوفقاً للمنظور التاريخي الذي رصده ابن النديم، يُعد الطب فرعاً من فروع الحكمة التي تشمل المنطق والفلسفة وأصول الأخلاق، وهو ما جعل الطبيب في العصر البرجي ينتقل من أروقة البيمارستانات إلى فضاء القصر السلطاني. وبذلك تحول الطبيب من عالم متخصص في حقل معرفي محدد إلى فاعل سياسي مطلع على 'أسرار الحكمة والتدبير'، ليصبح عنصراً جوهرياً في بنية صنع القرار السياسي وليس مجرد تقني متخصص.[1]

وقد تجاوزت العلاقة بين السلطان وطبيبه الخاص حدود العلاقة المهنية التقليدية، لتغدو علاقة إنسانية شديدة الخصوصية ، تقوم على الثقة المطلقة بآراء الطبيب ، ولا سيما في لحظات المرض والضعف البدني التي تنكشف فيها شخصية الحاكم على نحو غير مسبوق ، أمام الرعية والمجالس الخاصة. هذه الثقة العميقة فتحت للأطباء أبواب القرب من مركز اتخاذ القرار، ومكّنتهم من الولوج إلى أروقة الحكم، والمشاركة بصورة مباشرة ، أو غير مباشرة ـ في توجيه السياسات السلطانية باقتراح الفِكَر والقرارات .

ومن ثمّ، فإن دراسة دور الأطباء في العصر المملوكي الجركسي تقتضي قراءة تحليلية وتفكيكية دقيقة لطبقة ، أو فئة : «أطباء السلاطين» ؛ و« رؤساء الأطباء»، الذين امتلكوا، بحكم اقترانهم بجسد السلطان وصحته،

[1] **ابن النديم، محمد بن إسحاق (1997). الفهرست (تحقيق إبراهيم رمضان). دار المعرفة، ص 347-348.**

سلطة غير رسمية كثيراً فاقت (عكلياً) نفوذ كبار الأمراء والموظفين الإداريين. فقد أتاح لهم هذا القرب المادي والمعنوي القدرة على تقديم الشفاعات، والتدخل في شؤون التعيين والعزل، والتأثير في مسارات الترقي الوظيفي داخل الدولة، بل والمشاركة في صياغة التوجهات العامة للسياسة الداخلية والخارجية ، مستندين في ذلك إلى مكانتهم العلمية ، ورصيدهم المعرفي، وحظوتهم الشخصية لدى السلاطين.

إشكالية البحث :

ينطلق هذا البحث من محاولة علمية للكشف عن طبيعة العلاقة الجدلية الفعالة التي نشأت في العصر المملوكي الجركسي بين مجالي الطب والسلطة ، أو ما يمكن التعبير عنه مجازاً بالعلاقة بين «المبضع» بوصفه أداة للمعرفة الطبية، و«الصولجان» باعتباره رمزاً للحكم والسيادة السياسية. إذ شهد هذا العصر تحوّلاً لافتاً في موقع الطبيب داخل بنية الدولة، إذ لم يعد دوره مقتصراً على مداواة الجسد السلطاني والحفاظ على صحته فحسب، بل تجاوز ذلك ليغدو شريكاً غير معلن في إدارة شؤون الحكم والتأثير في مسارات القرار السياسي.

وتسعى هذه الدراسة إلى تفكيك هذا التحول من خلال إبراز الكيفية التي مكّنت الأطباء، ولا سيما أطباء السلاطين ورؤساء الأطباء، من الانتقال من حيز الوظيفة العلمية والمهنية إلى فضاء الفعل السياسي، مستفيدين من موقعهم الحساس القائم على الثقة الشخصية والقرب الجسدي والمعنوي من السلطان. وهو ما يفتح المجال أمام إعادة النظر في طبيعة «النخبة العالمة» في التاريخ الإسلامي، ودورها الذي تجاوز الأطر التقليدية للتأثير، ليشمل المشاركة الفعلية في إدارة الدولة وتوجيه سياساتها.

وتتبلور إشكالية البحث في تساؤل محوري مفاده : كيف استطاعت فئة الأطباء في عصر المماليك الجراكسة أن تتجاوز الحدود الوظيفية للمعرفة الطبية، وأن تتحول من جماعة علمية متخصصة إلى فاعل مؤثر ضمن آليات صنع القرار السياسي ؟ وما هي الأدوات والمسارات التي مكّنتها من اكتساب هذا النفوذ، وما حدود هذا الدور وانعكاساته على بنية السلطة والعلاقة بين العلم والحكم في الدولة المملوكية ؟

أهمية البحث :

١. تسليط الضوء على فئة "الأطباء" بوصفهم فاعلين سياسيين غير عسكريين امتلكوا سلطة "الخلوة" بالسلطان، مما يجعل البحث كشفاً لآليات صنع القرار من منظور القوى الناعمة.
٢. تكمن الأهمية في إثبات أن الطبيب في العصر الجركسي كان "صانع ملوك" من طرف خفي ، وليس مجرد موظف في البلاط.
٣. إبراز دور الطبيب كسفير فوق العادة ، مما يعكس الثقة السياسية التي تجاوزت حدود تخصصه العلمي.
٤. يضيف البحث رؤية جديدة للصراعات المملوكية ، ببيان أن "المشرط" كان أحياناً أمضى من "السيف" في حسم هوية السلطان القادم ، وإصدار بعض قراراته كونهم يحسبون على بطانته المقرّة .

أهداف البحث :

١. تهدف الدراسة إلى رصد كيفية ترقي الطبيب في البلاط المملوكي الجركسي، وتحليل العوامل التي جعلت منه مستشاراً سياسياً موثوقاً للسلطان.

٢. تحليل دور الأطباء في "هندسة الوراثة السياسية": من خلال دراسة تدخلهم في ترتيب ولاية العهد وتنصيب السلاطين.
٣. رصد "السلطة التقديرية" للأطباء: في عزل الوزراء وتعيين القادة، وكيف تحولت نصيحة الطبيب إلى أمر إداري نافذ.
٤. تقييم الأطباء كدبلوماسيين: تتبع السفارات التي قادها أو شارك فيها الأطباء، وتفسير سبب اختيار السلطة لهم لهذه المهام الحساسة.

المنهج المستخدم :

تعتمد هذه الدراسة أو البحث بشكل أساسي على المنهج التاريخي التحليلي، وذلك لملاءمته لطبيعة الموضوع التي تتطلب فحصاً دقيقاً للمادة التاريخية المستقاة من المصادر المعاصرة، مع الالتزام بالخطوات المنهجية التالية:

- المنهج الوصفي: لاستعادة صورة المشهد الطبي والسياسي في العصر المملوكي الجركسي، وتتبع تراجم الأطباء الذين برزوا في تلك الفترة ورصد محطات حياتهم المهنية والسياسية.
- المنهج التحليلي: وهو الركيزة الأساسية للبحث، حيث لا يتوقف عند سرد الأحداث، بل يسعى إلى تحليل "مواقف" الأطباء وتفسير خلفيات تدخلهم في القرار السياسي، وربط ذلك بالظروف المحيطة بكل سلطان.
- المنهج الاجتماعي (البروسوبوغرافيا): من خلال دراسة "تراجم الجماعة" للأطباء، وتتبع شبكة علاقاتهم الاجتماعية (المصاهرات، الصداقات، الانتماءات المذهبية) لفهم كيفية تشكل نفوذهم داخل البنية المملوكية.
- المنهج المقارن (بشكل محدود): للمقارنة بين أدوار أطباء مختلفين في عهود سلاطين متباينين (مثل عهد السلطان برقوق وعهد السلطان الغوري) ، للوقوف على مدى تطور ، أو تراجع هذا الدور السياسي مع مرور الزمن.

الفصل الأول: الأطباء وصناعة العرش : (التنصيب، الولاية ، العزل)

تمهيـــــــد:

انبثق نفوذ الأطباء في العصر المملوكي الجركسي من موقعهم الفريد بوصفهم الحلقة الأكثر حساسية في الحياة الخاصة للسلطان ، إذ لم تقتصر مكانتهم على امتلاك المعرفة الطبية ، أو ممارسة العلم التجريبي، بل امتدت لتلامس جوهر الثقة السلطانية ذاتها، من خلال ما يمكن تسميته بـ : «سلطة الخلوة» وما ارتبط بها من اطلاع مباشر على أسرار الجسد السلطاني ، وأحواله الصحية والنفسية. وقد منح هذا القرب الاستثنائي الأطباء موقعاً متقدماً داخل دائرة الحكم، جعلهم في موضع يندر أن وصل إليه غيرهم من أصحاب الوظائف الرسمي.

ومع ترسخ هذه المكانة المهنية، تمكّن الأطباء من تجاوز أدوارهم العلاجية التقليدية، لينخرطوا تدريجياً في مهام تنظيمية ، وإدارية، أسهمت في إعادة تعريف موقعهم داخل البناء السلطاني. فلم يعودوا مجرد خدم يعالجون السلطان في لحظات المرض، بل أصبحوا جزءاً من النخبة الحاكمة، يشاركون ـ بصورة مباشرة أو غير مباشرة ـ في إدارة شؤون الدولة، مستفيدين من تداخل المعرفة الطبية مع النفوذ الاجتماعي والقبول السلطاني.

وانطلاقاً من ذلك، يسعى هذا الفصل إلى تحليل الكيفية التي أحسن بها الأطباء اغتنام تكوينهم العلمي المتعدد، وما حازوه من حظوة اجتماعية ومكانة اعتبارية، للتحول من فئة مهنية متخصصة إلى فاعل سياسي مؤثر،

يمتلك أدوات التأثير داخل البنية الهيكلية للدولة المملوكية الجركسية. كما يتناول الفصل آليات هذا التحول، وحدوده، وانعكاساته على طبيعة العلاقة بين العلم والسلطة، وعلى إعادة تشكيل مفهوم النخبة في سياق التاريخ السياسي والاجتماعي للعصر المملوكي.

ولم تكن عملية توريث العرش في العصر المملوكي الجركسي مجرد رغبة سلطانية، بل كانت عملية معقدة تصطدم بعقيدة المماليك العسكرية التي لا تؤمن كثيراً بـ : "وراثة الدم". وفي ظل هذا الصراع، برز الطبيب كمؤثرين سياسيين يمتلكون "السلطة التقديرية" التي تمنح السلطان المريض الوقت ، والشرعية لتمرير الحكم لأبنائه الذكور، وذلك عبر الآليات التالية:

١. **صناعة "الزمن السياسي"** عبر التمويه الطبي: مثّلت اللحظة التي يستشعر فيها الأمراء ضعف السلطان الجسدي ما يمكن وصفه بـ : «ساعة الصفر» في الحسابات السياسية المملوكية، إذ كانت صحة الحاكم عاملاً حاسماً في توقيت التحركات الانقلابية ، ومحاولات الاستيلاء على السلطة.

وفي هذا السياق بالغ الحساسية، برز دور الأطباء بوصفهم فاعلين غير مباشرين في صناعة الوضع السياسي ، من خلال التحكم في تدفق المعلومات المتعلقة بالحالة الصحية للسلطان، وما يرتبط بها من توقعات حول بقائه أو وفاته. وقد أدّى الأطباء في العصر المملوكي الجركسي دوراً قريباً من العمل الاستخباراتي، ولا سيما في فترات احتضار السلاطين، حين يصبح الخبر الطبي أداة سياسية بامتياز.

وتكشف المصادر التاريخية، عند تناولها لمرض السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤–٨٠١هـ / ١٣٨٢–١٣٩٩م)، عن ممارسة متعمدة لما يمكن تسميته بـ : «التمويه الطبي»، إذ فرض أطباؤه الخاصون، وعلى رأسهم الطبيب : **نور الدين بن الصغير**، رقابة مشددة على «باب الخلوة»، ومنعوا وصول الأخبار الدقيقة عن حالته إلى الأمراء المتربصين في «الحوش» السلطاني.وفي الوقت الذي كان السلطان يعاني فيه من تدهور حاد في حالته الصحية، وربما كان في مرحلة الاحتضار، تعمّد الأطباء الخروج إلى الأمراء لإبلاغهم بتحسن حالته واستقرار وضعه الصحي. ولم يكن هذا السلوك نابعاً من تقدير طبي خالص، بقدر ما كان قراراً سياسياً محسوباً، هدفه كسب الوقت ومنح السلطان فرصة ثمينة لاستكمال الترتيبات السياسية اللازمة لضمان انتقال السلطة بسلاسة.وقد أتاح هذا «الخداع الطبي» للظاهر برقوق أن يُتم كتابة «العهد» لابنه الناصر فرج، وأن يجبر كبار الأمراء على أداء القسم على المصحف بالولاء له، في لحظة كان فيها ميزان القوى هشاً وقابلاً للانقلاب في أي وقت. ولولا تدخل الأطباء، عبر إخفاء حقيقة إصابة السلطان بنوبة صرع أو سكتة حادة، لكان إعلان المرض كفيلاً بتعجيل الانقلاب قبل أن يجف حبر العهد السلطاني .[٢] وعليه، يتضح أن الطبيب لم يكن مجرد ناقل محايد للمعرفة الطبية، بل كان صانعاً للزمن السياسي، يتحكم في إيقاع الأحداث من خلال إدارة المعلومة الصحية، ويؤثر بصورة غير مباشرة في مسار الشرعية السلطانية واستمرارية الحكم. وهو ما يكشف عن أحد أخطر أوجه التداخل بين الطب والسياسة في الدولة المملوكية الجركسية، حيث تحوّل الجسد السلطاني إلى ساحة صراع، والطبيب إلى وسيط فاعل في معركة السلطة

٢. **الطبيب** كـ "موثق شرعي" لأهلية السلطان: من الناحية الفقهية ، يُعدّ اكتمال الأهلية العقلية شرطاً أساسياً لصحة الوصية، إذ يشترط في «المُوصي» أن يكون ثابت العقل، مدركاً لما يقول، وقادراً على التعبير عن إرادته الحرة دون إكراه أو اضطراب ذهني. وقد اكتسب هذا الشرط أهمية مضاعفة في السياق السياسي المملوكي، ولا سيما عندما كان السلاطين يحررون وصاياهم أو عهودهم السلطانية وهم على فراش المرض، في لحظات تتقاطع فيها الاعتبارات الشرعية مع الحسابات السياسية

[٢] **ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف : (ت 874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1992م) ، ج12، ص 155-160.**

للأمراء المتنافسين.[٣] وفي مثل هذه الظروف، كان الأمراء المعارضون يلجؤون إلى الطعن في مشروعية الوصايا السلطانية، متذرعين بدعوى «غيبة العقل» أو فقدان السلطان لأهليته الذهنية نتيجة المرض أو الاحتضار. وهنا برز الدور الحاسم لرئيس الأطباء، الذي تحولت شهادته إلى ما يشبه الصك القانوني القاطع، إذ إن إقراره بثبات عقل السلطان وسلامة إدراكه كان كفيلاً بإسقاط أي اعتراض فقهي أو قانوني على صحة الوصية. فبمجرد أن يقرر الطبيب أن السلطان «ثابت العقل، مسموع الكلمة»، تصبح إرادته نافذة، ولا يملك الخصوم سنداً شرعياً لمعارضتها.[٤] وعلى هذا الأساس، تجاوز الأطباء دورهم الطبي ليؤدوا وظيفة توثيقية ذات طابع شرعي، جعلتهم أقرب إلى «قضاة واقعيين» يحددون من تتوافر فيه الأهلية للحكم، ومن تُرفض إرادته بدعوى العجز أو اختلال الإدراك. ولم يكن هذا الدور منصوصاً عليه في البنية الرسمية للدولة، لكنه نشأ بحكم الضرورة السياسية، وبفعل المكانة التي حازها الأطباء بوصفهم الجهة الوحيدة القادرة على تقييم الحالة العقلية للسلطان في لحظاته الأخيرة، وفي حالات أخرى، كانت شهادة الأطباء هي 'الصك الشرعي' لاستمرار الملك أو انتقال الحكم. ففي أواخر عهد السلطان المؤيد شيخ، حينما طعن البعض في قدرته على إدارة البلاد بسبب مرضه، برز دور أطبائه **(مثل ابن كاتب المناخ وغيره من أطباء الخاص)** الذين شهدوا بسلامة قواه العقلية وحدّة ذهنه رغم عجزه البدني. هذه الشهادة الطبية الموثقة من أطباء البلاط كانت العائق الأساسي أمام محاولات الأمراء لخلعه وتعيين بديل بحجة العجز.[٥]

وعند ارتقاء السلاطين الأطفال (مثل المنصور عثمان أو المظفر أحمد)، كان رئيس الأطباء (الذي يشرف على التربية الصحية للسلطان) هو من يحدد 'لحظة البلوغ' التي تنتهي عندها الوصاية ويبدأ الحكم الفعلي. وبذلك، كان قرار الطبيب بتحديد بلوغ السلطان هو القرار الذي ينهي نفوذ 'الأتابك' أو 'الوصي' ويُدخل السلطان الشاب إلى معترك السياسة منفرداً.[٦]

٣. **التدخل الكيميائي لتعزيز الحضور السياسي**: في بعض الحالات، لم يقتصر تدخل الطبيب في العصر المملوكي الجركسي على إدارة المعلومة الصحية ، أو توثيق الأهلية العقلية، بل تجاوز ذلك إلى تدخل مباشر ذي طابع دوائي، هدفه التحكم المؤقت في الحالة الجسدية للسلطان بما يخدم مقتضيات اللحظة السياسية. فقد لجأ الأطباء أحياناً إلى استخدام العقاقير المنشطة والمركبات الطبية المعروفة آنذاك بـ : «**المفرِّحات**» ؛ و:«**الترياقات المركبة**»، من أجل إطالة أمد بقاء السلطان في حالة من اليقظة المؤقتة ، تمكّنه من الظهور العلني وأداء وظائف سياسية حاسمة في توقيت بالغ الحساسية.وقد كان هذا التدخل الكيميائي يُستثمر خصوصاً في اللحظات التي يستوجب فيها السياق السياسي حضور السلطان شخصياً لمقابلة الخليفة والقضاة في «**دار العدل**» أو «**الإيوان**»، بهدف إعلان ولاية العهد أو تثبيت شرعية قرار مصيري أمام النخبة الحاكمة والجمهور العام.[٧] وفي مثل هذه المناسبات، كان الجسد

---

[3] **ابن إياس، محمد بن أحمد : (ت 930هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة ، 1982م) ، ج2، ص 42-45.**

[4] **ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد : (ت 852هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: د. حسن حبشي، ط1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (القاهرة ، 1998م) ، ج3، ص 210.**

[5] **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي : (ت 845هـ) ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1997م) ، ج6، ص 480-485.**

[6] **ابن خلدون، ع. (2004). مقدمة ابن خلدون (تحقيق عبد السلام الشدادي). خزانة ابن خلدون. الفصل الخامس: في صناعة الطب، الجزء الثاني، ص 120 - 124**

[7] **ابن أبي أصيبعة، أ. (1995). عيون الأنباء في طبقات الأطباء (تحقيق نزار رضا). دار مكتبة الحياة. ص 575.**

السلطاني يتحول إلى رمز سياسي بصري، تتوقف عليه مؤشرات الاستقرار أو الانهيار داخل الدولة.وعمل الأطباء، من خلال هذه المركبات الدوائية القوية، على إخفاء مظاهر الاحتضار، مثل شحوب الوجه أو ضعف الحركة أو اضطراب الوعي، بما يمنح الحاضرين انطباعاً بسلامة السلطان وقدرته على ممارسة سلطته، ولو على نحو مؤقت. ولم يكن الهدف من ذلك علاجياً بحتاً، بل كان إجراءً سياسياً وقائياً، يسعى إلى منع انتقال إشارات الضعف إلى المجال العام، لما لذلك من أثر مباشر في تحفيز الاضطرابات.وقد أسهم هذا «الإخراج الطبي» للجسد السلطاني في الحفاظ على صورة الدولة وهيبتها، ومنع تحرك فئات من «المماليك الأجلاف» الذين كانوا يترقبون أي علامة على تدهور صحة السلطان لبدء أعمال النهب ؛ أو التمرد ؛ أو إعادة ترتيب الولاءات. وهكذا، عدا عن التدخل الدوائي أداة من أدوات الضبط السياسي، تُدار من خلال الطبيب، وتُسخَّر للحفاظ على استمرارية السلطة وتأجيل لحظة الانفجار. [٨]

وبذلك، يتضح أن المعرفة الطبية والكيميائية في العصر المملوكي الجركسي لم تكن معزولة عن المجال السياسي، بل استُخدمت بوصفها وسيلة لإدارة الجسد السلطاني وإخضاعه لمتطلبات الحكم، الأمر الذي يبرز مرة أخرى موقع الطبيب كفاعل سياسي غير معلن، يمارس نفوذه من خلال أدوات العلم، ويؤثر في مسار الأحداث من داخل أكثر المساحات حساسية في بنية الدولة.

لم تكن عملية تنصيب السلطان في العصر المملوكي الجركسي إجراءً بروتوكولياً محضاً أو طقساً احتفالياً شكلياً، بل شكّلت في جوهرها : «**بياناً سياسياً**» بالغ الدلالة ، يُقصد به الإعلان عن ولادة سلطة جديدة وتثبيت أركانها في مواجهة الأمراء المتربصين من جهة، وطمأنة العامة المضطربة من جهة أخرى. وقد مثّل هذا المشهد لحظة مفصلية تتقاطع فيها الرمزية السياسية مع الحسابات الواقعية للقوة، حيث تُختبر شرعية السلطان الجديد منذ اللحظة الأولى لجلوسه على العرش.[٩] وفي هذا السياق بالغ الحساسية، تجاوز دور الأطباء حدود مهنتهم التقليدية ليغدوا بمثابة «ضامني الاستقرار السياسي»، إذ أُنيطت بهم مهمة إعداد السلطان الجديد جسدياً ، ونفسياً للمشهد الافتتاحي للحكم. فلم يكن حضور السلطان في يوم التنصيب مجرد حضور مادي، بل كان عرضاً سيادياً متكاملاً تُقاس من خلاله قدرته على الإمساك بزمام الأمور وبسط هيبته على الحاضرين .وقد اضطلع الطبيب، في هذه اللحظة، بدور محوري فعّال في صناعة ما يمكن تسميته بـ : «**الهيبة السلطانية**»، من خلال التحكم في مظهر السلطان وحيويته وقدرته على الوقوف والمخاطبة وإدارة الطقوس الرسمية. فإذا كان السلطان الجديد يعاني من وهن جسدي أو مرض مزمن ـ كما كان الحال في بعض الحالات، ولا سيما لدى السلاطين الذين اعتلوا العرش في سن متقدمة ـ تدخل الأطباء باستخدام مركبات دوائية مقوية ومنشطات طبية، تضمن له الظهور بمظهر السلطان القوي المتمكن، القادر على القيادة واتخاذ القرار.ولم يكن هذا الحرص نابعاً من اعتبارات صحية فحسب، بل من إدراك عميق لطبيعة الثقافة السياسية المملوكية، التي كانت تقرأ الجسد السلطاني بوصفه مؤشراً مباشراً على قوة الدولة أو هشاشتها. إذ إن أي علامة ضعف بدني أو ارتباك ظاهري في يوم التنصيب كانت كفيلة بإطلاق موجة من التكهنات حول قصر عمر الحكم الجديد، وتشجيع الخصوم على إعادة ترتيب تحالفاتهم أو الشروع في تقويض السلطة الوليدة.. [١٠]
وعليه، أسهم الأطباء من خلال هذا الدور في تأمين لحظة التأسيس السياسي، وجعلوا من الجسد السلطاني أداة

---

[8] **السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : (ت 902هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط1، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، 1966م) ، ج10، ص 154.**

[9] **نيللي حنا، بيوت القاهرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ط1، دار الشروق،(القاهرة ، 2003م) ، ص 92.**

[10] **سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط1، دار النهضة العربية، (القاهرة ، 1992م) ، ص 210-215.**

لضبط التوازنات ومنع الانفجار المبكر، بما يؤكد أن الطب في العصر المملوكي الجركسي لم يكن علماً علاجياً فحسب، بل كان جزءاً لا يتجزأ من آليات إنتاج الشرعية السياسية والحفاظ على استمرارية الحكم.

تكشف الدراسات الحديثة التي تناولت مفهوم : «**سوسيولوجيا النخبة**» في العصر المملوكي الجركسي عن المكانة الاستراتيجية التي شغلها رئيس الأطباء داخل البنية الرمزية للسلطنة، ولا سيما من خلال موقعه المتقدم في موكب السلطنة (الرَّنك)، حيث كان يسير في طليعة أرباب الوظائف العلمية إلى جوار القضاة وكبار رجال الدين. ولم يكن هذا الحضور جزءاً من التراتبية البروتوكولية فحسب، بل حمل دلالات سياسية عميقة، إذ أُنيط برئيس الأطباء دور منح الشرعية «الفنية» لعملية التنصيب، بوصفه الجهة المختصة بتقييم الجسد السلطاني وأهليته لممارسة الحكم.وقد تعاظم هذا الدور على نحو خاص في حالات تنصيب السلاطين الأطفال، حيث لم تعد مسألة تولي الحكم شأناً سياسياً أو فقهياً محضاً، بل أصبحت مرتبطة بتقدير طبي مباشر. ففي هذه الحالات، تحوّل الطبيب إلى «صانع للأهلية»، إذ كان فحصه البدني للسلطان الصغير وشهادته بظهور علامات البلوغ أو اكتمال الرشد الجسدي تمثل الأساس الذي يستند إليه القضاة الأربعة لإصدار أحكامهم بإنهاء نظام الوصاية، والإعلان عن بدء السلطنة الفعلية.[11] وبناءً على ذلك، غدا الطبيب صاحب الكلمة الفصل في تحديد لحظة الانتقال من الوصاية إلى الاستقلال بالحكم، مانحاً السلطان ما يمكن وصفه بـ«صك الاستقلال» السياسي. ولم يكن هذا الصك مجرد إجراء شكلي، بل كان قراراً حاسماً يترتب عليه إعادة توزيع موازين القوة داخل الدولة، وإنهاء نفوذ الأوصياء، وفتح المجال أمام السلطان لممارسة سلطاته كاملة.

وقد أدرك الأمراء خطورة هذا الدور وأبعاده السياسية، فدخلوا في سباق محموم لكسب ود الأطباء، سعياً للتحكم في توقيت إعلان رشد السلطان ، أو الإبقاء على حالة «العجز» السلطاني أطول مدة ممكنة، بما يضمن استمرار نفوذهم داخل منظومة الحكم. وهكذا، يتضح أن الطبيب في العصر المملوكي الجركسي لم يكن مجرد معالجاً جسدياً، بل كان جزءاً أصيلاً من إدارة السلطة وبطانتها المقرّة ، يساهم من موقعه القريب في إنتاج الشرعية ، وضبط إيقاع الانتقال السياسي، وإعادة تشكيل النخبة الحاكمة.[12]

تحوّل «**التقرير الطبي**» في العصر المملوكي الجركسي من أداة تشخيص للأمراض والعلل إلى وثيقة سياسية ذات قوة حاسمة في تحديد مسار الحكم السلطاني. ففي دولة كانت شرعية الحاكم فيها قائمة على قدرته البدنية والذهنية على ممارسة السلطة بكفاءة، كان أي خلل صحي يمثل ثغرة قانونية يمكن للخصوم السياسيين استغلالها لإضعاف موقف السلطان. ومن هنا برز الأطباء كلاعبين فاعلين في ما يمكن تسميته بـ«شرعنة الانقلابات»، إذ كان الأمراء المماليك الطامحون إلى السلطة يسعون جاهدين لاستمالة رئيس الأطباء أو «طبيب الخلوة» لاستصدار شهادات طبية تؤكد عدم أهلية الحاكم القائم.[13]

ولم يقتصر دور الأطباء في هذا السياق على تقييم الأمراض العضوية الواضحة ، بل شمل أيضاً توصيفات طبية وفكرية مطاطية مثل : «**فساد المزاج**» ؛ و: «**غيبة العقل وذهابه**» ؛ و: «**الخرف**»، التي تُستخدم لتبرير إنهاء ولاية السلطان على أسس فنية وشرعية في الوقت ذاته. ففي حالات الصراع بين الأتابك

---

[11] أيمن فؤاد سيد، القاهرة: خططها وتطورها العمراني، ط1، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة ، 2015م) ، ص 480-484.

[12] قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك: التاريخ السياسي والاجتماعي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، (القاهرة، 1994م) ، ص 158-165.

[13] محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر 648-923هـ، ط1، دار النهضة العربية، (القاهرة، 1980م) ، ص 252-258.

والسلطان، كان يُستدعى الطبيب لتقديم تقريره الفني أمام الخليفة والقضاة الأربعة، وإذا قرر أن السلطان يعاني من عاهة تمنعه من تدبير شؤون الرعية وإدارة الدولة، سقطت ولايته شرعاً، وأصبح الأمراء قادرين على إعادة ترتيب السلطة دون أن يظهروا كمتمردين صريحين.[١٤]

وتكشف الدراسات الحديثة في تاريخ المماليك أن هذه الشهادات الطبية مثلت «**المخرج القانوني**» للأمراء المتمردين كي لا تثار الشكوك من حولهم ، إذ كانت التحركات العسكرية والسياسية تُقدَّم على أنها ضرورة شرعية وطبية لحماية الدولة من حاكم عاجز. ومن هذا المنطلق، امتلك الأطباء سلطة خفية تفوق سلطة السيف، إذ كان بإمكانهم، بتقرير واحد، تحويل السلطان من حاكم مطاع إلى سجين معزول في إحدى طبقات القلعة، وبالتالي إعادة هيكلة رأس الدولة وتغيير هوية الجالس على العرش. وهكذا أصبح الطبيب شريكاً أصيلاً في السلطة، يساهم في رسم ملامح الحكم، وضبط آليات انتقال السلطة، وفرض التوازن بين الفاعلين السياسيين من خلف الستار، وهو موقع يبرز التداخل العميق بين الطب والسياسة في العصر المملوكي الجركسي.[١٥]

الفصل الثاني: الأطباء وهيكلة النخبة الحاكمة (الوزراء والقادة)

تمهـــــــيد:

لم يقتصر طموح الأطباء في العصر المملوكي الجركسي على إدارة الجسد السلطاني وضمان استمرارية صحته، بل امتد ليشمل التأثير في بنية النخبة الحاكمة وتوجيه مساراتها الإدارية والعسكرية. فقد مكّنتهم «سلطة القرب» والخصوصية التي تحصّلوا عليها داخل «الخلوة السلطانية» من لعب دور وسيط حيوي بين السلطان والمراكز العليا للسلطة، ليصبحوا بذلك قنوات نفوذ غير رسمية، تمتلك القدرة على إعادة تشكيل هرم السلطة وفق تقديراتهم ورؤيتهم.وكان للأطباء القدرة على التأثير في عمليات ترشيح الوزراء والولاة، أو حتى الإطاحة بالقادة العسكريين والإداريين، مستفيدين من الثقة المطلقة التي منحهم إياها السلطان، والتي جعلت من نصيحتهم الطبية مدخلاً مباشراً لنصيحة سياسية نافذة. وفي هذا السياق، كان الطبيب يتحول إلى مستشار استراتيجي، يجمع بين المعرفة العلمية والفهم السياسي، قادر على موازنة القوى داخل الدولة، وإعادة ترتيب أولويات النخبة الحاكمة، بما يحافظ على استقرار السلطة أو يوجهها نحو مصالح محددة.وبذلك، يبرز الطبيب في هذا العصر ليس كفرد متخصص في مهنة علاجية فحسب، بل كفاعل مؤثر في إدارة الدولة وصياغة سياساتها، يجمع بين الدور الطبي، والفهم النفسي، والاستراتيجية السياسية، ليصبح أحد الأعمدة الخفية التي تستند إليها السلطة المملوكية في تحقيق توازناتها الداخلية والحفاظ على استمراريتها.

لم يكن نفوذ الأطباء في الجهاز الإداري للدولة المملوكية الجركسية نفوذاً عارضاً، بل استند إلى بنية **"النظام المنزلي"** للحكم؛ حيث كان القصر السلطاني هو مركز القرار، والطبيب هو أكثر الأشخاص التصاقاً بهذا المركز. ومن هنا فقد تغلغل الأطباء في "ديوان الوزارة" و"ديوان الإنشاء" عبر عدة آليات:

1. **آلية الشفاعة والوساطة المأجورة**: تشير الدراسات الحديثة إلى نشوء علاقة نفعية بين الأطباء وطبقة الكتاب والوزراء؛ ففي ظل الاضطراب المالي للدولة الجركسية، كان منصب "الوزير" محفوفاً بالمخاطر

---

[14] **عماد بدر الدين أبو غازي، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ط1، دار الشروق، (القاهرة، 2003م) ، ص 102-105.**

[15] **علي السيد علي، الحياة العلمية في مصر في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر العربي، (القاهرة ، 1990م) ، ص 192-198.**

والمصادرات. لذا، كان الوزراء يسعون لكسب حماية الأطباء المقربين من السلطان : (**أطباء الخلوة**) ليعملوا كـ "حائط صد" أمام غضب السلطان. وقد تحول بعض الأطباء، مثل فتح الدين كاتب المناخ (الذي جمع بين الطب والرياسة)، إلى قوة ضاغطة تستطيع تثبيت وزير في منصبه أو إزاحة آخر عبر إقناع السلطان بأن "كفاءة الوزير البدنية" ؛ أو "مزاجيته" لا تتناسب مع ضغوط العمل الديواني.[١٦]

2. **السيطرة على "أرباب الأقلام"** عبر الرقابة الصحية: كان للأطباء سلطة فحص كبار الموظفين؛ فإذا أراد السلطان التخلص من كاتب سر أو ناظر جيش دون إثارة فتنة، كان يستعين بتقرير الطبيب الذي يثبت "عجز" الموظف عن أداء مهامه. وفي المقابل، كان الأطباء يرشحون تلامذتهم أو أقاربهم لشغل مناصب إدارية صغرى في الدواوين، مما أدى إلى صبغ الجهاز الإداري بصبغة "الولاء للطبيب السلطاني". وتؤكد المصادر أن الطبيب : **نور الدين علي بن الصغير** كان له رأي نافذ في اختيار من يحضر "المجالس السلطانية" من أرباب الأقلام، وهو ما يعد ذروة التغول السياسي على الاختصاصات الإدارية.[١٧]

3.**الطبيب كمستشار سياسي في الأزمات المالية**: بسبب اطلاع الأطباء على علوم الحساب والمنطق إلى جانب الطب، كان السلاطين يستشيرونهم في الأمور الاقتصادية التي تقع ضمن اختصاص الوزراء. وهذا التداخل جعل الطبيب "وزيراً فعلياً" من وراء ستار، حيث كان يقترح سياسات جبائية أو إصلاحات نقدية، مما يضعف مكانة الوزير الرسمي ويجعله مجرد منفذ لسياسات يقترحها الطبيب في غرف النوم السلطانية.[١٨]

يُمثل تدخل الأطباء في شؤون "أرباب السيوف" في العصر المملوكي الجركسي ظاهرة فريدة تكسر القواعد التقليدية للمجتمع المملوكي القائم على الفصل بين "أهل القلم" و"أهل السيف". فالمماليك، الذين كانوا يمثلون الأرستقراطية العسكرية التي تأنف من تدخل المدنيين في شؤونها، وجدوا أنفسهم أمام "سلطة طبية" تتسلل إلى أدق تفاصيل حياتهم المهنية والعسكرية.[١٩] لم يكن الطبيب يمارس نفوذه كقائد عسكري، بل كمتحكم في "الغطاء الفني والبدني" للقيادة العسكرية، وذلك عبر عدة مستويات تحليلية:

- **هندسة "التقاعد القسري" عبر التقارير الطبية المسيسة:** في البنية العسكرية المملوكية، كان "الإقطاع" (الدخل المادي للأمير) مرتبطاً بـ "الخدمة"؛ أي بقدرة الأمير على ركوب الخيل وقيادة العسكر في الحروب (التجريدات). هنا تبلورت سلطة الطبيب في تحويل المرض العارض إلى "عاهة مستديمة" بطلب سري من السلطان للتخلص من الأمراء "المشاغبين". فعندما كان السلطان الجركسي يخشى طموح أحد كبار الأمراء (مثل أمير آخور أو رأس نوبة)، كان يُوعز لطبيبه الخاص بإصدار تقرير يثبت أن هذا الأمير لم يعد قادراً على تحمل أعباء "الخدمة السلطانية" بسبب وهن أصابه.[٢٠] هذا "المشرط السياسي" كان يمنح السلطان ذريعة قانونية لسحب الإقطاع من الأمير

---

[16] **عبد الرازق عيسى، تاريخ الأطباء في مصر في العصر المملوكي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 1996م) ، ص 155-162.**

[17] **محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر 648-923هـ، ط1، دار النهضة العربية، (القاهرة ، 1980م) ، ص 268-272.**

[18] **وجيه كمال، النظم الإدارية في عصر المماليك الجراكسة، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 2005م) ، ص 130-134.**

[19] **عبد الرازق عيسى، تاريخ الأطباء في مصر في العصر المملوكي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة ، 1996م) ، ص 175-185.**

[20] **قاسم عبده قاسم، بين الأدب والتاريخ : دراسات في سوسيولوجيا التاريخ المملوكي، ط1، عين للدراسات والبحوث، (القاهرة ، 2003م) ، ص 95**

وإحالته إلى "البطالة" أو نفيه إلى الثغور (مثل الإسكندرية أو دمياط) تحت ستار "الراحة والعلاج"، مما يحيد القوى العسكرية المنافسة دون الحاجة إلى مواجهة دموية قد تثير فتنة في صفوف المماليك.[٢١]

- **الطبيب كـ "محلل نفسي" واستخباراتي داخل بيوت الأمراء:** تجاوز نفوذ الأطباء حدود القلعة ليصل إلى "بيوت الأمراء" والطبقات العليا من المماليك. فالطبيب، بحكم مهنته، كان الشخص الوحيد الذي يُسمح له بولوج "الحريم" والدوائر الضيقة داخل قصور الأمراء الأكابر لعلاجهم أو علاج عائلاتهم. هذه الخصوصية جعلت من الطبيب "جاسوساً نخبوياً"؛ إذ كان يرصد الحالة النفسية للأمير، ومدى التفاف مماليكه حوله، بل ويطلع على مراسلاته السرية في لحظات ضعفه البدني. كانت هذه المعلومات تُنقل فوراً إلى "الخلوة السلطانية"، وبناءً عليها كان السلطان يقرر تقديم أمير في الرتبة أو تأخيره. وتكشف القراءات الحديثة أن الأطباء ساهموا في إحباط العديد من المؤامرات العسكرية قبل وقوعها، ليس بالسلاح، بل عبر تشخيص "نوايا الأمراء" من خلال مراقبة تصرفاتهم تحت ضغط المرض أو التعب.[٢٢]
- **"التزكية الطبية" كمعيار للترقي العسكري:** في أواخر العصر الجركسي (لاسيما في عهود السلاطين قايتباي والغوري)، أصبحت "الشفاعة الطبية" معياراً موازياً للشجاعة في ميدان القتال. فالأمراء الذين كانوا يسعون للحصول على رتبة "مقدم ألف" أو الدخول في "مجلس المشورة"، أدركوا أن الطبيب السلطاني هو "البوابة الخلفية" لإقناع السلطان بسلامة ولائهم واتزان أمزجتهم. نشأت بذلك "بورصة ترقيات" كان الأطباء فيها هم الوسطاء؛ حيث كان الطبيب يزكي أميراً معيناً عند السلطان بدعوى أنه "الأوفق لطبيعة السلطان المزاجية"، مما أدى إلى صعود طبقة من الأمراء "المدعومين طبياً" الذين يدينون بالولاء للبطانة العلمية داخل القصر، وهو ما أحدث خللاً في العصبية المملوكية التقليدية وزاد من حقد العسكر على طبقة الأطباء.[٢٣]

لم يكن القصر السلطاني في العصر المملوكي الجركسي مجرد مقر للحكم والإدارة، بل كان بمثابة ساحة مفتوحة لـ«مباريات نفوذ» حامية الوطيس بين مختلف فئات البطانة، التي تسعى جميعها للاستئثار بالقرب من السلطان وتأمين موضعها داخل دوائر السلطة العليا. وفي هذا الوسط المشحون بالتنافس والمؤامرات، خاض الأطباء صراعاً وجودياً وسياسياً حاداً ضد قوى ناعمة أخرى كانت تشاركهم في فضاء «الخلوة السلطانية»، مثل المنجمين الذين يقدمون التوقعات، والفقهاء المؤدبين الذين يراقبون السلوك ويصدرون الأحكام الشرعية، والطواشية أو الخدام المخصيين الذين يهيمنون على الجانب البروتوكولي للقصر.واعتمد الأطباء في فرض هيمنتهم على استراتيجية «الاحتكار المعرفي للجسد السلطاني»، محولين معرفتهم الطبية الدقيقة حول صحة السلطان وقدرته البدنية والعقلية إلى أداة سياسية فعّالة، قادرة على التحكم في الوصول إلى دائرة القرار وموازنة النفوذ بين المنافسين. فقد مكّنهم هذا الاحتكار من ضمان السيطرة على المعلومات الأكثر حساسية

---

[21] **عماد بدر الدين أبو غازي، مرجع سابق، ص 130**

[22] **ناصر بن علي الحارثي، الوظائف والطبقات الاجتماعية في العصر المملوكي، ط1، دار المناهج، (عمان ، 2005م) ، ص 220-228.**

[23] **محمد سيف الدين، الجيش في العصر المملوكي الجركسي، ط1، دار الوفاء، (الإسكندرية ، 2001م) ، ص 155-162.**

حول حالته الصحية، وبالتالي تحديد من يمكنه الاقتراب من السلطان أو التأثير في قراراته، ومنع الآخرين من استخدام المعرفة المتاحة للضغط أو المناورة في السياسة الداخلية..[٢٤]

وبذلك، أصبح الطبيب لاعباً مركزياً في صراعات القصر، يمارس نفوذه ليس فقط من خلال تشخيصه الطبي، بل من خلال تحويل الجسد السلطاني إلى آلية للسيطرة السياسية، وإدارة شبكة العلاقات المعقدة بين مختلف القوى الناعمة داخل البطانة. ومن هذا المنظور، يبرز الأطباء كعنصر أساسي في إنتاج وترسيخ السلطة، ليس باعتبارهم مجرد خبراء طبيين، بل كفاعلين استراتيجيين قادرين على التأثير في مسار السياسة والمنافسات الداخلية للقصر.

الصراع الوجودي مع "المنجمين" وتقويض الغيبيات: شكل المنجمون في العصر الجركسي منافساً خطيراً للأطباء؛ حيث كان السلاطين المماليك يميلون بطبعهم إلى استشارة "أهل النجوم" قبل خوض الحروب أو تعيين الوزراء. هنا، لم يكتفِ الأطباء بمنافسة المنجمين مهنياً، بل حاربوهم سياسياً عبر إقناع السلطان بأن "الطب علم يقيني" بينما "التنجيم رجم بالظنون". وتكشف التحليلات الحديثة أن الأطباء، مثل ابن كاتب المناخ، نجحوا في إزاحة المنجمين من مجلس المشورة السلطانية عبر ربط قرارات الدولة بـ "المزاج الصحي" للسلطان بدلاً من "حركة الكواكب". لقد استغل الأطباء فشل بعض تنبؤات المنجمين ليصوروهم أمام السلطان كـ "دجالين" يهددون أمن الدولة، مما أتاح للأطباء الانفراد بتقديم النصيحة السياسية تحت غطاء النصيحة الطبية.[٢٥]

مزاحمة "الفقهاء والمؤدبين" على السلطة الرمزية: كان "المؤدب" ، أو الشيخ الذي أشرف على تربية السلطان يمتلك سلطة روحية وأدبية هائلة. إلا أن الأطباء استطاعوا اختراق هذه العلاقة عبر سلاح "أسرار الجسد". فبينما كان الفقيه يخاطب ضمير السلطان، كان الطبيب يسيطر على "آلامه". واستخدم الأطباء هذه السيطرة لإبعاد الفقهاء عن التدخل في التعيينات الإدارية؛ ففي عهود السلاطين جقمق وإينال، برزت حالات كان فيها الطبيب هو من يحدد من يحضر "مجلس الخلوة" من الفقهاء، مدعياً أن كثرة الجدل الفقهي تسبب "سوداوية" للسلطان وتؤثر على كفاءته في الحكم. وبذلك، أزاح الأطباء "السلطة الأخلاقية" للفقهاء ليحلوا محلها "السلطة المادية" للطب، مما جعل تعيين القضاة والمحتسبين يمر أحياناً عبر بوابة الطبيب الخاص.[٢٦]

"الحرب الباردة" مع الطواشية وجناح الحريم: يُمثل "الطواشية" (الخدام المخصيون) الكتلة الصلبة داخل الحرم السلطاني، وهم المتحكمون في حركة الدخول والخروج من جناح السلطان. دخل الأطباء في صراع معقد مع هؤلاء؛ فالطواشية كانوا يسعون لبيع المناصب القيادية لمن يدفع أكثر، بينما كان الأطباء يسعون لفرض مرشحيهم لضمان استمرار نفوذهم. وتكشف المصادر عن استخدام الأطباء لـ "التقارير الصحية الكاذبة" لمنع وصول بعض الطواشية أو المقربين من "الخوندات" (زوجات السلاطين) إلى السلطان، مدعين أن صحته لا تسمح بالمقابلات، وذلك ليمرر الطبيب منفرداً قرارات العزل والتعيين التي يريدها.[٢٧] إن هذا الصراع حوّل الطبيب إلى "حارس بوابة" (Gatekeeper) سياسي، يمتلك القدرة على عزل السلطان عن بطانته التقليدية والانفراد بتوجيه دفت القيادة.

---

[24] **عبد الرازق عيسى، تاريخ الأطباء في مصر في العصر المملوكي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة ، 1996م) ، ص 200-215.**

[25] **ناصر بن علي الحارثي، الوظائف والطبقات الاجتماعية في العصر المملوكي، ط1، دار المناهج ، عمان ، 2005م) ، ص 240-250.**

[26] **ابن إياس، بدائع الزهور، ج4، ص 250**

[27] **الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج2، ص 190**

الفصل الثالث: الأطباء في الساحة الدولية (السفارات والدبلوماسية)

تمهـــــيد:

لم تقتصر فاعلية الطبيب في العصر المملوكي الجركسي على دوره كمستشار داخلي أو كحارس لجسد وعرش السلطان، بل امتدت لتجعله أحد أبرز أدوات «القوة الناعمة» في السياسة الخارجية للدولة. فقد لم يكن اختيار الأطباء للقيام بمهام دبلوماسية معقدة ترفاً شخصياً أو مجرد وظيفة إضافية، بل كان ضرورة استراتيجية فرضتها طبيعة الصراعات الدولية والتوازنات الحساسة في المنطقة خلال هذه المرحلة. إذ كان الطبيب بمثابة الواجهة الحضارية والعلمية للدولة المملوكية، ممثلاً بمكانته العلمية ومهارته المهنية ما يمكن اعتباره رمزاً للسمعة والقوة في آن واحد.

وبفضل امتلاكهم للغات الأجنبية كالتركية والفارسية، وقدرتهم على التنقل بين البلاطات المعادية وإقامة علاقات ضمن «البعثات الطبية» دون إثارة الشبهات، استطاع الأطباء تحويل الحقيبة الطبية إلى أداة دبلوماسية فعّالة. فقد لعبوا دور الوسيط في مفاوضات حساسة، وشاركوا في تسوية النزاعات، وحماية مصالح الدولة، مما جعل المشرط الطبي ليس مجرد أداة للعلاج، بل أداة لترميم العلاقات الدولية المتمزقة، وتأمين المصالح السياسية والاقتصادية للسلطنة في لحظات فارقة من تاريخها..[٢٨]

وهكذا، برز الطبيب في العصر المملوكي الجركسي كفاعل متعدد الأبعاد، يجمع بين العلم والسياسة والديبلوماسية، ويؤثر في مسار الدولة من الداخل والخارج على حد سواء، مؤكداً أن المعرفة الطبية لم تكن مجرد أداة للعلاج، بل كانت وسيلة متقدمة لإنتاج النفوذ والشرعية، سواء داخل القصر السلطاني أو على المستوى الدولي.

يُعد خروج الطبيب في "سفارة" دولية تحولاً جذرياً في مفهوم الوظيفة العلمية في العصر الجركسي، حيث أصبح الطبيب "سفيراً فوق العادة" يجمع بين مهمتين: التمثيل الرسمي، والاستخبارات الطبية والسياسية. وتكشف الدراسات الحديثة أن السلاطين المماليك (لاسيما قايتباي والقانصوه الغوري) فضلوا الأطباء في المراسلات مع الدولة العثمانية الصاعدة والقوى التيموريين في الشرق؛ لأن الطبيب يمتلك "حصانة فنية" تتيح له الجلوس مع الملوك في خلواتهم بدعوى "المداواة" أو "إهداء عقاقير نادرة"، وهي ميزة لا تتوفر للسفراء العسكريين الذين كانوا يُعاملون بكثير من الحذر والريبة.[٢٩]

لقد كان الطبيب السفير يقوم بدور "المحلل الاستراتيجي"؛ فبينما كان يقدم الدواء لملكٍ منافس، كان في حقيقة الأمر يراقب الحالة البدنية والذهنية لهذا الحاكم، ويقيم مدى استقرار ملكه وقوة جيشه، ثم يعود للقاهرة بتقرير يجمع بين "التشخيص الطبي" و"التحليل السياسي". ومن أبرز النماذج التي رصدتها الدراسات الحديثة، استخدام الأطباء في تخفيف حدة التوتر مع العثمانيين خلال أزمة "إمارة ذي القادر"، حيث أُرسل أطباء ممن يتقنون التركية لإيصال رسائل سرية تهدف إلى تأخير المواجهة العسكرية عبر "دبلوماسية التسكين".[٣٠]

---

[28] **سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر سلاطين المماليك، ط1، دار النهضة العربية، (القاهرة ، 1971م) ، ص 195-202.**

[29] **أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ العلاقات الدولية في العصر المملوكي، ط1، دار النهضة العربية، (بيروت ، 1999م) ، ص 130-140.**

[30] **القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج14، ص 80-85**

علاوة على ذلك، كان للأطباء دور بارز في السفارات المتجهة نحو الشرق (بلاد فارس والهند)؛ حيث استخدموا المعرفة الطبية المشتركة كجسر لبناء تحالفات سياسية واقتصادية. فكان الطبيب يتبادل الكتب الطبية مع علماء تلك البلاد، وفي طيات ذلك التبادل تُمرر الاتفاقيات العسكرية ضد الأخطار المشتركة (كالبرتغاليين في المحيط الهندي). إن هذا التغلغل الطبي في السلك الدبلوماسي أدى إلى نشوء ما يمكن تسميته بـ "الدبلوماسية الحكيمة"، التي تعتمد على المناورة والذكاء اللغوي والعلمي بدلاً من الصدام الخشن، مما جعل الطبيب المملوكي عنصراً لا غنى عنه في حماية الأمن القومي للدولة في محيطها الإقليمي المتوتر.[٣١]

لم يكن حضور الأطباء في مراسم استقبال الوفود الأجنبية بالقاهرة مجرد واجهة حضارية تعكس تقدم الطب في الدولة المملوكية، بل كان حضوراً ذا طبيعة "أمنية-استخباراتية" بامتياز.[٣٢] فقد وظفت الدولة الجركسية "الحاسة الطبية" للأطباء لتكون خط الدفاع الأول عن أمن القلعة واستقرار القرار السياسي، وذلك عبر استراتيجيات دقيقة تجاوزت المفهوم التقليدي للمداواة:

- **الاستخبارات الوقائية والرقابة السيادية على الهدايا**: في بيئة سياسية دولية اتسمت بالصراعات الدامية واللجوء إلى "الاغتيال الصامت"، كان رئيس الأطباء يمثل صمام الأمان للسلطة. كان الطبيب يتولى مسؤولية فحص "الهدايا السلطانية" الوافدة من القوى المنافسة (مثل العثمانيين أو الصفويين ؛ أو حتى القوى الأوروبية). ولم يكن الفحص طبياً ساذجاً، بل كان فحصاً استقصائياً يشمل العقاقير، الأطعمة، وحتى الثياب الفاخرة المهداة للسلطان، خشية أن تكون مسمومة أو "معدية" بآفة طاعونية. إن قدرة الطبيب على "تحليل المادة" منحته سلطة سياسية؛ فبقرار منه تُقبل الهدية أو تُرفض، وهو قرار كان يحمل أحياناً رسائل دبلوماسية خشنة أو ناعمة تجاه الدولة المرسلة، مما جعل الطبيب شريكاً في رسم بروتوكول الرفض والقبول السياسي.[٣٣]
- **"الخلوة الدبلوماسية" وتفكيك شفرات السفراء**: كان السلاطين المماليك يفضلون إرسال الأطباء لمرافقة السفراء الأجانب في جولاتهم داخل القاهرة (زيارة البيمارستانات الكبرى كالبيمارستان المنصوري، والمدارس، والأسواق). وتحت ستار "الحديث العلمي" ومناقشة الطب والفلسفة، كان الطبيب السفير يدير حوارات استخباراتية عالية المستوى. فبفضل إتقانهم للغات (التركية، الفارسية، وأحياناً اليونانية)، استطاع الأطباء استدراج الرسل الأجانب في مجالس السمر لاستخلاص معلومات حول الحالة الصحية لملوكهم، ومدى تماسك الجبهات الداخلية لبلادهم، وحجم التجهيزات العسكرية الحقيقية خلف الستار الدبلوماسي. هذا النوع من "الاستطلاع الناعم" كان يوفر للسلطان المملوكي مادة خام لاتخاذ قرارات الحرب أو السلم، بعيداً عن التقارير الرسمية التي قد تكون مضللة.[٣٤]
- **الطبيب كـ "قناة مفاوضات خلفية**(Backchannel Diplomacy) "): في الأزمات السياسية الكبرى التي تتطلب سرية تامة (مثل مفاوضات تبادل الأسرى العسكريين أو الاتفاقيات التجارية مع البنادقة)، كان يُدفع بالطبيب كواسطة مفاوضات. السبب في ذلك أن الطبيب يمتلك "المرونة الذهنية" والقدرة على صياغة التفاهمات في قوالب غير عسكرية لا تثير حساسية "الأمراء

---

[31] **محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر 648-923هـ، ط1، دار النهضة العربية، (القاهرة ، 1980م) ، ص 290-298.**

[32] **عبد الرازق عيسى: مرجع سابق ، ص 245-255.**

[33] **حياة ناصر الحجي: مرجع سابق، ص 182-190.**

[34] **فيصل سامر، الدولة الحضرية في العصر المملوكي، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، (بيروت، 2001م) ، ص 225-230.**

الأكابر". لقد كان الأطباء يديرون ما يسمى اليوم بـ : "**المفاوضات الفنية**"؛ حيث تُمرر الاتفاقيات السياسية الكبرى تحت غطاء "التعاون العلمي" أو "تبادل العقاقير والمستحضرات"، مما أتاح للدولة المملوكية المناورة في ساحة دولية شديدة الاضطراب، وحوّل الطبيب من مجرد موظف في البلاط إلى "عقل مدبر" للسياسات الاستراتيجية الخفية.[٣٥]

لم يكن الدور الدبلوماسي للأطباء مجرد نشاط عارض في هيكل الدولة المملوكية الجركسية، بل كان "متغيراً استراتيجياً" ساهم بشكل مباشر في هندسة السياسة الخارجية وتوجيه بوصلة العلاقات الدولية. لقد أحدث تغلغل الأطباء في الساحة الدولية أثراً عميقاً في صياغة توجهات الدولة عبر عدة مستويات تحليلية:

١) **عقلنة القرار الدبلوماسي** (من الصدام العسكري إلى المناورة العلمية): ساهم الأطباء في تحويل السياسة الخارجية المملوكية من "سياسة الفعل العنيف" (المواجهة العسكرية المباشرة) إلى "سياسة المناورة الناعمة". فبفضل منطقهم العلمي القائم على "التشخيص والتروي"، استطاع الأطباء إقناع السلاطين بتأخير الصدامات العسكرية مع القوى الصاعدة كالعثمانيين عبر استراتيجيات "التسكين الدبلوماسي". لقد أدرك الأطباء، بحكم مراقبتهم لـ "جسد الدولة" المتعب اقتصادياً وعسكرياً في أواخر العصر الجركسي، أن البقاء يتطلب مرونة سياسية، فاستخدموا العلاقات العلمية والطبية كساتر لتأجيل الحروب، مما منح الدولة المملوكية عُمراً إضافياً في ظل توازنات دولية شديدة التعقيد.[٣٦]

٢) **صياغة "التحالفات العابرة للحدود"** عبر الغطاء العلمي: أدى الدور الدبلوماسي للطبيب إلى انفتاح الدولة المملوكية على قوى إقليمية ودولية لم تكن ضمن الدائرة التقليدية للاهتمام العسكري المملوكي. فقد نجح الأطباء في بناء "شبكات تواصل علمي-سياسي" مع بلاد الهند وفارس، وحتى بعض القوى الأوروبية، مستخدمين تبادل "المعارف الطبية" و"العقاقير النادرة" كذريعة لتمرير اتفاقيات عسكرية وتجارية ضد الأخطار المشتركة (مثل التهديد البرتغالي في المحيط الهندي). هذا النوع من "الدبلوماسية الموازية" جعل من الطبيب مهندساً لتحالفات استراتيجية لم يستطع القادة العسكريون صياغتها، مما أعطى للدولة المملوكية ثقلاً دولياً تجاوز قوتها العسكرية الفعلية في تلك الفترة.[٣٧]

٣) **تعزيز "القوة الناعمة" وبناء الصورة الحضارية**: على المستوى الرمزي، ساهم الأطباء في بناء صورة ذهنية للدولة المملوكية كمركز حضاري وعلمي، وهو ما كان يمثل أداة ضغط سياسي في حد ذاته. فإرسال طبيب مملوكي متمكن إلى بلاط حاكم أجنبي كان يرسل رسالة مفادها أن القاهرة لا تزال "قلعة العلم" والمتحكمة في "أسرار الحياة والموت". هذه الهيبة العلمية التي صنعها الأطباء وفرت غطاءً دبلوماسياً قوياً للسلاطين، وجعلت القوى الأجنبية تتعامل مع المماليك بقدر من التقدير والرهبة العلمية، مما أثر في صياغة المعاهدات الدولية ومنح المفاوض المملوكي اليد العليا في كثير من الجولات الدبلوماسية السرية والعلنية.[٣٨]

الخاتمـــــة:

في ختام هذه الدراسة الموسعة حول "الأطباء والحياة السياسية في العصر المملوكي الجركسي"، نخلص إلى مجموعة من النتائج المحورية التي تُعيد قراءة دور النخبة العلمية في بنية السلطة المملوكية:

---

[35] **وجيه كمال، النظم الإدارية في عصر المماليك الجراكسة، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة ، 2005م) ، ص 170-175.**

[36] **سعيد عبد الفتاح عاشور:مرجع سابق، ص 260-270**

[37] **محمد محمد أمين: مرجع سابق ، ص 300-310.**

[38] **نفس المرجع السابق**

أولاً: أثبتت الدراسة أن الطبيب في العصر الجركسي تجاوز دوره المهني الضيق ليصبح "فاعلاً سياسياً استراتيجياً"؛ فالمعرفة الطبية لم تكن مجرد أداة للعلاج، بل كانت "سلطة معرفية" مكنت الأطباء من التحكم في مفاصل الدولة، بدءاً من لحظة تنصيب السلاطين ووصولاً إلى هندسة عزلهم.

ثانياً: كشف البحث عن الدور الخطير للأطباء في "هيكلة النخبة الحاكمة"؛ حيث تحول الطبيب إلى "بيضة قبان" في الصراع بين أرباب السيوف وأرباب الأقلام. واستطاع الأطباء اختراق المؤسسة العسكرية المملوكية الصارمة عبر بوابة "الأهلية البدنية"، مما جعل "المبضع الطبي" أداة لتصفية الخصوم السياسيين والترقية الإدارية.

ثالثاً: تجلت محورية الطبيب في "الساحة الدولية"، حيث أثبتت الدراسة أن الطبيب المملوكي كان "سفيراً استخباراتياً" من الطراز الأول. وبفضل دبلوماسية "التسكين الطبي"، ساهم الأطباء في تأخير المواجهة العسكرية مع القوى الصاعدة، وبناء صورة ذهنية حضارية للدولة المملوكية في الخارج.

رابعاً: نستنتج أن العلاقة بين السلطان والطبيب كانت قائمة على "تبادل المنفعة والضرورة"؛ فالسلطان يحتاج إلى الطبيب لحماية جسده وشرعيته، والطبيب يحتاج إلى السلطان للوصول إلى قمة الهرم الاجتماعي والسياسي. هذا التحالف أدى إلى نشوء "نخبة طبية-سياسية" كانت هي المحرك الخفي لكثير من القرارات المصيرية في تاريخ مصر والشام.

أعلام الأطباء في العصر المملوكي الجركسي

اسم الطبيب	الحُقبة / عهد السلطان	الدور أو المكانة العلمية والسياسية
ابن كاتب المناخ (فتح الدين محمد)	عهد جقمق وإينال	لم يكن طبيباً فحسب، بل كان رئيساً للأطباء ومقرباً جداً من السلطة، وجمع بين الطب والرياسة الإدارية.
ابن الصغير (نور الدين علي)	عهد الظاهر برقوق	الطبيب الخاص للسلطان، وهو مهندس عملية "التمويه الطبي" التي أمنت انتقال العرش للناصر فرج.
ابن العفيف (محمد بن أحمد)	القرن التاسع الهجري	اشتهر بكونه طبيب العيون (كحال) الخاص بالبلاط، وكان له نفوذ اجتماعي واسع في أوساط الأمراء.
منصور بن باكيش	عهد السلطان الغوري	طبيب من أصل يهودي أسلم، حظي بثقة الغوري المطلقة وكان يستشيره في أدق أمور القلعة الصحية والأمنية.
شهاب الدين بن المجدي	القرن التاسع الهجري	رغم شهرته في الفلك والرياضيات، كان طبيباً بارزاً يُستدعى لمجالس السلاطين لتقديم المشورة العلمية.
بدر الدين بن حبيب	عهد الأشرف قايتباي	رئيس الأطباء في وقته، وكان له دور في تنظيم الشؤون الصحية للبيمارستان المنصوري ومراقبة جودة الأغذية في القصر.

المراجـــــع :

١) ابن إياس، محمد بن أحمد : (ت ٩٣٠هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة ، ١٩٨٢م) ، ج٢.
٢) ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف : (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت ، ١٩٩٢م) ، ج١٢.

٣) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد : (ت ٨٥٢هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: د. حسن حبشي، ط١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، (القاهرة ، ١٩٩٨م) ، ج٣.
٤) أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ العلاقات الدولية في العصر المملوكي، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٩م.
٥) أيمن فؤاد سيد، القاهرة: خططها وتطورها العمراني، ط١، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة ، ٢٠١٥م)
٦) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : (ت ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط١، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت ، ١٩٦٦م) ، ج١٠.
٧) سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط١، دار النهضة العربية، (القاهرة ، ١٩٩٢م.)
٨) سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر سلاطين المماليك، ط١، دار النهضة العربية، (القاهرة ، ١٩٧١م.)
٩) الصيرفي ، نزهة النفوس والأبدان، ج٢، ص ١٩٠
١٠) عبد الرازق عيسى، تاريخ الأطباء في مصر في العصر المملوكي، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهر ، ١٩٩٦) .
١١) علي السيد علي، الحياة العلمية في مصر في العصر المملوكي، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠م.
١٢) عماد بدر الدين أبو غازي، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ط١، دار الشروق، (القاهرة، ٢٠٠٣م).
١٣) ابن النديم، محمد بن إسحاق (١٩٩٧). الفهرست (تحقيق إبراهيم رمضان). دار المعرفة، ص ٣٤٧-٣٤٨.
١٤) فيصل سامر، الدولة الحضرية في العصر المملوكي، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، (بيروت ، ٢٠٠١م).
١٥) قاسم عبده قاسم، بين الأدب والتاريخ: دراسات في سوسيولوجيا التاريخ المملوكي، ط١، عين للدراسات والبحوث، (القاهرة ، ٢٠٠٣م).
١٦) قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك: التاريخ السياسي والاجتماعي، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (القاهرة ، ١٩٩٤م) .
١٧) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١٤
١٨) محمد سيف الدين، الجيش في العصر المملوكي الجركسي، ط١، دار الوفاء، (الإسكندرية ، ٢٠٠١م) .
١٩) محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨-٩٢٣هـ، ط١، دار النهضة العربية، (القاهرة ، ١٩٨٠) .
٢٠) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت ، ١٩٩٧م) ، ج٦.
٢١) ناصر بن علي الحارثي، الوظائف والطبقات الاجتماعية في العصر المملوكي، ط١، دار المناهج ، (عمان ، ٢٠٠٥م) .
٢٢) نيللي حنا، بيوت القاهرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ط١، دار الشروق ، (القاهرة ، ٢٠٠٣) .
٢٣) وجيه كمال، النظم الإدارية في عصر المماليك الجراكسة، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة ، ٢٠٠٥م) .

٢٤) ابن خلدون، ع. (٢٠٠٤). مقدمة ابن خلدون (تحقيق عبد السلام الشدادي). خزانة ابن خلدون. الفصل الخامس: في صناعة الطب، الجزء الثاني، ص ١٢٠ ـ ١٢٤
٢٥) ابن أبي أصيبعة، أ. (١٩٩٥). عيون الأنباء في طبقات الأطباء (تحقيق نزار رضا). دار مكتبة الحياة. ص ٥٧٥.